

مقدمة

كتب الكثيرون في موضوع الأدب السرياني وأوردوا الكثير من النصوص ولكن كتاباتهم كانت في الغالب تبحث في تأريخ الأدب ولم تكن موجهة للطلبة المختصين في اللغة والأدب السرياني، بل للقراء بصورة عامة ما عدا الأداب السريانية منشورات الجامعة اللبنانية حيث وضع أصلاً من قبل مؤلفيه لأغراض التدريس، وقد حاولتُ جاهداً الإستفادة منه في أسلوب تقديم المادة إضافة إلى عشرات الكتب في الأدب السرياني بالسريانية والعربية والمترجمة.

وأكثرُ من النماذج الأدبية سواء النثرية أم الشعرية وذلك لكي أفسح المجال أمام الطلبة الأعزاء التعرف على الأساليب الأدبية لكل كاتب أو شاعر مبتدئاً من القديم صعوداً إلى القرن السادس أي العصر الذهبي، وأما الصف الرابع فأمل أن تكون المواضيع من الأدب الوسيط والحديث وسوف أختار نماذج من الكتابة والأدباء الشرقيين والغربيين ولئن تعزّ على هذه التسمية إذ كنتُ أحيذ أن نقول الأدباء السريان فقط.

أمل أن يأخذ هذا الكتاب مكانه في التراث السرياني وأن يضع طلبتنا الأعزاء على الطريق الصحيح للإغتراف من بحر هذا التراث الزاخر بكل الفوائد والله ولي التوفيق.

المؤلف

د. بشير متي توما الطوري

نمهيده

اللغة السريانية لهجة من اللهجات الآرامية التي تصعد في أصولها إلى السامية الشمالية وهي عند البعض أقدم لغة، وعند المعتدلين من أقدم لغات الدنيا، والتي شمل نطاقها الجغرافي بلدان الشرق الأدنى وقسماً من آسية الصغرى وشمالي الجزيرة العربية، واتسع إطارها التاريخي على مدى ألفي سنة ومائتين، منم القرن السابع قبل الميلاد حتى الخامس عشر بعده على أقل تقدير، فقد طانت أشبه باللغة الإنكليزية اليوم في العالم القديم من حيث إنتشارها الواسع حيث وصلت جنادل النيل والهند والصين.

وقد أصبحت هذه اللهجة لغة أدبية منذ القرن الثاني الميلادي عندما تنصر بعض الآراميين وعُرفوا بالسريان، وبلغت شأواً حافظت عليه ما عاشت، غير متأثرة باليونانية المضاربة رغم اقتباس البعض من مفرداتها والا العربية المنافسة، بل أدخلت ألفاظاً ومركبات حضارية بها في لغة العرب، على أنها إكتسبت من الإحتكاك بالفريقين شيئاً من لغة المنطق وسعة الخيال، فسجلت إنطلاقاً من الفكر المسيحي أسمى ما انتجه الفكر البشري في الدين والفقه والشرع والفلسفة والإجتماع والتاريخ والقصة والجغرافية والطب وعلم الفلك وعلم الطبيعة والعلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية، إلى أن إنتقل ذاك الإنتاج الغزير القيم على يد العرب إلى الأوساط الغربية نواة للنهضة التي ظهرت بوادرها في حين أخذ مشعل السريانية ينضب زيتة ويخبو نوره.

ويقسم النتاح الأدبي السرياني إلى نثر رتيب موزون وشعر رصيف منظوم.

النثر (عنا)

تناول النثر الكتاب المقدس **صُلُجًا مَبْعًا** في عهديه القديم والجديد ترجمة وبحثاً وشرحاً لحاجة الأراميين المنتصرين الماسة إلى تفهم مبادئ الدين من خلال النصوص فأقبلوا على التأليف وأمضوا فيه، مبسطين الإنشاء ما أمكن، فظهرت الترجمة البسيطة **فَعْمَهُدًا** في منتصف القرن الثاني ناقله العهد القديم إلى الأوساط الشعبية عن النص العبري الذي اعتمده السبعينية. أما العهد الجديد فيرقى أقدم نص فيه إلى حوالي السنة ١٧٠م وهو (الدياطسرون) أو الإنجيل الموحد (**أَهَيَكُمُ، وَهَسْتَهُمًا**) ثم تبعه (الإنجيل المفردة) (**أَهَيَكُمُ، وَهَعْتَهُمًا**) حول السنة المائتين، والدياطسرون ترجمة ططيانس الحديابي.

وقد حرص السريان على صحة اللفظ، حرصهم على سلامة المتن، فأنشأوا الضوابط لفظاً وحركات خطوها فوق الأحرف كلما إقتضى ذلك منع الإلتباس. ثم إنقسم السريان إلى مشاركة ومغاربة في منتصف القرن الخامس ودخلوا في مناظرات جدلية عنيفة أثمرت عن ترجمات جديدة عن اليونانية (الفلوكسينية) للعهدين أوائل السادس وقد أعادت النظر فيه الترجمة الحرقلية للعهد الجديد أوائل السابع، كما جاءت (الهكسابلية) في ذات الوقت ناقله إلى السريانية النص السبعيني اليوناني.

ثم توسعت إلى القصة والملحمة والحكمة وحتى الفكاهة، نخص بالذكر منها حكم أحيقار وأسطورة الإسكندر وغار الكنوز في قصة آدم وحواء ورواية كليلية ودمنة والإلياذة والأوديسة وسواها الكثير من ثابت ومنحول ومن أصيل أو منقول، وكذلك إمتاز السريان بفن الرسائل وسيد هذا الباب هو مار فيليكسينوس المنجي. وقد أتصف النثر بدقة التأليف وبلاغة التصنيف ووضوح التعبير وأحكام التركيب، فحق له أن يتصف بـ(السهل الممتنع).

الشعر (محصناً)

أما الشعر فكان له من تلك الشوائب نصيب على تعدد أنواعه وتنوع أوزانه، وقد جاء على شكلين رئيسيين: الميامر **مأخذاً** والمدارsh **مذوقاً**.
وهدف الشعر جمال الكلام وتزيينه بأوزان العناصر ومطابقة الكلمات الملفوظة المتشابهة والملائمة.

الميمر: خطاب موزون من الفن القصصي والملحمي كان يُتلى في الكنائس أثناء الإحتفالات راوياً أخبار الكتاب المقدس وسير القديسين.

المدرش: نشيد تعليمي تضمن العقائد والنظريات والآراء وتدرج إلى الجدل وتكريم القديسين وهو نموذج من الفن الإنشادي، وقد تفرع عنه الساغوث.

الساغوث (صهَّجاً): حاوياً صلاة أو مديح يتناوب الإنشاد فيه جوقان متقابلان مما يخلق شيئاً من الحيوية.

أما بالنسبة للنظم في كلا النوعين فهو قائم على اللحن لا على التفاعيل ومقيد بالنغم لا القافية، فيختلف في ذلك كل الاختلاف عن الشعر العربي ويقرب من الشعر المرسل، فهو في جوهره شعر غنائي ينشد على جميع الأوتار ولا تحصر أوزانه في حد ولا أبحره في عد، والبحر وزن معروف يسير الناظم والشاعر بموجبه وقد قسم أنطوان البليغ الوزن إلى بسيط أو مركب أو مضاعف أو هجائي (أبجدي).

١. الوزن البسيط (**صهَّجاً فعلاً**): هو الخالي من التقطيع ولا يفصل المعنى إن استقر بنهاية الدعائم ولكن يضاف الكلام إليه ويتبع القراءة والنظرية بأن واحد كقول أنطوان:

هُجَّهَ - لَأَسَا - وَلَا لُحَّصَهُ: حَصَّبَا سَجَصَا - وَتَسَا

هُجَّهَ - لَأَسَا - وَلَا فَكَّهَهُ: كَحَصَّهْهُ - وَتَكَّسَا

٤. الوزن الأبجدي (معهسا ههسأا): فيتألف من جمل منمقة أي جمل بسيطة ومركبة، ويقسم إلى قسمين، المحدود بالجمل العددية وغير المحدود.

أما المحدود ويعرف المكان كل حسب الجمل، الكبيرة والصغيرة، البسيطة والمركبة، ومنه ما يأخذ مكاناً وتحدد بالعدد فتؤلف الأناشيد والمراثي وبقية الألحان المقسمة إلى أبيات مثال:

هه نسا. وهخ ككه. كلا ستهأا
سهو؛ حخأا، سها؛ ساوا
هكلا أوقا، فهف فجا
أب أقهنا، هنا سهده، أس وحا ملقا

والترجمة: هذا هو الشهر الحامل كل الأفراح

حرية العبيد فخر الأحرار

زينة الأبواب بهرجة الأجسام

ويحل بمحبة الإرجوان كأن على الملوك

فبدايته ونهايته على وتيرة واحدة ومقاطعته الوسطية على وزن واحد وأما غير المحدود لا يحفظ مكان الجمل ولا يحدد عددها ومن هذه وأمثالها تصاغ القصائد وغيرها.

ذلك أن البيت لا يعتمد على تألف المتحرك والساكن ولا يتكون من الأسباب والأوتاد بل من تقاطيع الكلم إلى أصوات متوازية تعادل التقاسيم الموسيقية، وعدد الأبحر كثير جداً إلا أن أشهرها الخماسي وهو ما إختص به بالاي على نمط ٢+ ٣ أو ٣+ ٢، وشاع السباعي على لسان ما أفرام (٣٧٣م) على أن يكون الوقف فيه عادة بين المقطع الثالث أو الرابع، أو الثماني وهو من استتباط أنطوان البليغ في القرن التاسع أول عروضي سرياني والوقف فيه المنتصف وقد ورد كثيراً في الطقوس المارونية بينما يقطع الأحد عشري إلى الأربعة فأربعة فثلاثة. والإثنى عشري متعادل التقطيع ٤، ٤، ٤. وهو يعرف بالسروجي لإلتزامه فيه كل نظمه.

والشعر عند السريان يمتد بجذوره إلا ما قبل السيد المسيح من وافا الشاعر الأرامي، إلى آحيفا، وزير سنحاريب الملك الآشوري إلى برديسان الرهاوي إلى أفرام السرياني وتلامذته إلى بالاي والسروجي والقوقيين إلى أنطوان البليغ إلى ابن المعدني وابن العبري وخاميس القرداحي والصوباوي إلى نوح اللبناني سلسلة ذهبية متصلة الحلقات إلى عصرنا هذا.

طبقات الشعراء السريان

نجد بين شعراء السريان شعراء العبقرية وشعراء القريحة وشعراء جمعوا في الكثير بين الموهبتين، وشعراء الطبقة الوسطى، فالمتأخرين فمتخلفي الشعراء. فمن الطراز الأول ما أفرام الشاعر الخالد الموهوب، الذي فاز بإكليل العبقرية وجاء بالحسنات الساحرات، عقد عقائد النصرانية الدقيقة وأسرارها السامية شعراً أرسله من فيض خاطره الفسيح فلا تأنق ولا تكلف خرج على طراز فني موفق عليه طابعه ووسمه ما نُسجَ على غراره ولا صُبَّ على قلبه، ومن أقوى خواصه التدفق والتعمق والتجديد وقوة الأسلوب وبراعة الحبك والتصرف في فنون الإبداع.

ومن الصنف الثاني يعقوب الرهاوي وابن العجوز وابن قريقي وابن الصابوني وابن أندراوس الذي يسبك فيحسن السبك ويصوغ فيحكم الصوغ، والكلام في أبياته مرسل ويمشي في كثير منها في الرعيل الأول.

ومن جمع بين الموهبتين إسحق الأمدي وإسحق الرهاوي ونرسي والسروجي وابن العبري وخاميس بر قرداحي.

وامتاز السروجي بتوليد المعاني واستقصائها وسلامة شعره على الطول وقصائده الجياد الطوال تعد بالمئات.

ذلك فيض يسخر بالحدود ونور ينفذ من الستور أنت حيال شاعر لا شك أنه رسول لقوة إلهية تلهمه.

وابن العبري يبهرك منه لفظه المؤنق وإسلوبه المشرق وقافيته المروضة وصوره الأخاذة.

وممن إمتاز بإشراق الديباجة ونصاعة القول ورقة اللفظ وعذوبة الإسلوب قورلونا وآسونا وبالاي.

ومن شعراء الطبقة الوسطى أنطوان التكريتي وحزقيال الملطي وأبو نصر البرطلي وبهنام الحدلي ونوح اللبناني وشمعون الطورعديني، ومن خصائصهم طلاوة الديباجة والجزالة والسهولة وإحكام التأليف ويغلب على الأخيرين السلاسة

وفيض القريحة، إذ إستثنينا بعض قصائد اللبناني التي استهوتها فيها القافية المكلفة وعابها التعمل.

وتشمل أبواب الشعر السرياني التزهيد في الدنيا والدعوة إلى التوبة والسبيل الذي به تدرك النجاة والوصف وتغلب عليه الإبحاث اللاهوتية وللسروجي في هذا الباب الحظ الأوفى، والمديح وهي في إطراء السيد المسيح والبيعة المقدسة وفضائل السيدة العذراء، والرتاء خصوصاً في رثاء النفس الخاطئة والهجاء والشعر السرياني منزه عن الهجر وساقط القول على الإطلاق، إنما يشمل الهجاء تقرير أصحاب البدع.

الإخوانيات والشوقيات وسيد هذا اللون هو ابن العبري وكأنك أمام شاعر رومانسي من هذا العصر من دفء العاطفة وصدقها والغزل الروحي الذي جود فيه ابن العبري أجمل القصائد.

البحور الشعرية (حتلاً ومهسداً)

إن عدد البحور الشعرية لا يمكن حصرها ولكن أهم البحور التالية:

١. الخماسي القصير: القائم فيه البيت على دعامتین إحداهما من مقطعين والثانية من ثلاثة مقاطع أو بالعكس. وهو خفيف وأنيق وسهل الحفظ، مثال

ذلك: سَبَّأٌ مَلَأَ وَسَعَا: حَنِينٌ حَسُوعَا
لَحَبَّتْهُ هَمِيهِ وَتَب: وَمَجَبَّهٌ خَلَا صَحْبُ
أو كقول مار بالاي:

سَعَا كَ مَدْنَا: هَسَعَا لَأَجَهْتِ
سَعَا كَ مَدْنَا: هَسَعَا حَتَّحْتِ
سَعَا كَ مَدْنَا: هَسَعَا كَعَمُجْتِ
سَعَا كَ مَدْنَا: هَسَسَ حَلَّحْتِ

٢. السداسي: ويقسم إلى دعامتین كل دعامة من ثلاثة مقاطع أي ثلاثة ثم ثلاثة، كقول فولوس غبريال:

مُنَا صَ حَجَبَا حَجَبَا
هَجَعُنَا أَوْ كَلَّجَا
وَهَجَبَا أَوْ قَلَّسَا
هَجَعُنَا أَوْ حَسَلَّسَا؟

٣. السباعي: وشاع على لسان مار أفرام (٣٧٣م) على أن يكون الوقف فيه بعد المقطع الثالث أو الرابع أي أنه يتكون من دعامتین ثلاثية ورباعية أو رباعية وثلاثية وكذلك ثلاث دعامات بحركتين وثلاث وإثنتين ويعرف أيضاً بالمزدوج، مثل:

مَحَّ وَحَ حَبَّ مَدَا: هَوَّهَلَهْ أَيْلَهْ حَجَبَتْ
 هَنَصَلَهْ عَجَبَتْ قَسَصَ: وَأَعْبَهَهَلَهْ حَلَا قُعْنَمُ
 أَلَهْ رَجَعَهْ هَاعَلَمَكَهْ: سَلَمْنَا وَسَاءَهْ هَفَعْنَاهْ

٤. الثماني: وهو من إستتباط أنطوان البليغ في القرن التاسع، فنقسم المقاطع فيه مناصفة بالوقف في المنتصف وهو من دعامتين كل دعامة من أربعة مقاطع وكذلك يمكن أن تصبح الدعائم ثلاث ثلاث أثنتين أو ثلاث إثنين ثلاث، وكثيراً ما ورد هذا الوزن في الطقوس المارونية.

أَبَهْ وَ أَسَتْ حَصَفَا وَتَجَمُ
 وَهَأْ صَلَّهْ كَهْ سَلْنَا وَمَأَلَا

وكذلك قول الشاعر د. بشير الطورلي في الغزل:

حَصَفَا وَحَسَقَهْ هَأْ صُفَا إِيَا : حَصَفَا هَأْ هَأْ سَاءَ إِيَا
 سَاءَهْ صُفَا هَأْ حَلَلَهْ إِيَسْنَا : وَحَلَلَهْ عَجَبْنَا هَعَبْنَا وَحَدْنَا
 حَلَلَهْ وَهَجَبَهْ مَلَا كَلَا هَأْ وَ: وَهَجَبَهْ أَرْهْ هَدَّ كَدَّ أَحَدَا

٥. البحر البعيد: والذي يتألف من ستة عشر حركة، كقول د. بشير الطوري في قصيدته كمال الحب (رَمْنَهْ سَهَا):

هُجَّهْ هَلَا لَأَلَا وَجَسَدَهْ نَعَمَهْ حَحَّهْ وَلَسَ أَحْسَاءَهْ
 هُجَّهْ هَلَا لَأَلَا وَجَسَدَهْ حَبَّاهْ نَعَمَهْ عَجَبَا أَحْسَاءَهْ
 هُجَّهْ هَلَا لَأَلَا وَسَلَّجَهْ أَحْمَلَهْ نَدَهْ مَعَبَّجَ أَحْسَاءَهْ
 هُجَّهْ هَلَا لَأَلَا وَوَسَعَهْ صَدَهْ حَحَّهْ نَعَبَا لَأَلَا

٦. البحر الأحد عشري: ويكون أربعة فأربعة فثلاثة، كقول فولوس غبريال:

بُؤِبُ هَقْبُهُ حَمُّ هَقْمُاج مَدَّوْتَمُ
مَأُ بَقْمُ حَمُّهَا مَعَا مَدَّحَقْمُ
مَلَا حَقْدَا مَحُّ أَوْه حَجُّ حَمُّ
هَقْمُهَا حَمُّهَا لَأُ هَقْمُ

٧. الإثني عشري: يتكون من ثلاث دعامات كل دعامة منها أربعة مقاطع، وقد برع في هذا البحر ما يعقوب السروجي حتى عُرف بإسمه وذلك من القرن السادس (٥٢١م) كقول ابن المعدني من القرن الثالث عشر:

حَمُّهَا وَسَمُّ حَمُّهَا وَحَلَّا حَمُّهَا مَحَّا
هَقْمُ مَحُّ فَمُّهَا أَوْحَمَّا وَجَمُّهَا حَمَّا
هَبُّ حَمَّا حَمُّ مَعَمَّا وَرَمَّا هَمُّهَا مَحَّمَّا
سَمُّهَا مَحَّمُّ هَجْمُهَا حَمَّا لَأَمَّا وَحَمَّا

أحيقار أسمة

شخصيته: إن مسألة تحديد شخصية أحيقار تبقى عالقة، وجل ما يُعرف عنه أنه كان كاتباً أو وزيراً - والتعبيران مترادفان - لدى سنحاريب الذي حكم من ٧٠٥ - ٦٨١ ق. م، فيكون أحيقار عاش في النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد على أبعد تقدير.

القصة: لم يُرزق أحيقار ولداً ذكراً يرث اسمه وحكمته وثروته، مع أن عدد زوجاته بلغ الستين - ولا غرابة في هذا الرقم، فهو عدد كامل رمزي - ومع أنه لمك يتوان في تكريم آلهته، وتذكر بعض النصوص أنه نبذ جميع الآلهة والتجأ إلى الله، غير أن هذا الإله الأوحى لم يلبِ نداء الحكيم المتعبد، بل أوحى إليه أن يتبنى ابن أخته نادان أو نادن الآرامي ومعناه " المعطي " .

ومن يكبُّ على دراسة نص (قصة أحيقار) كما وصل إلينا يتبين له أن فيه قسمين: قسماً ضمَّ النصائح والحكم، وآخر أقحمت فيه الروايات والحكايات الغريبة المدهشة من طابع القصص الهندي، الذي نجد له صدى في (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة) وقد تكون ألحقت فيما بعد.

كما يتضح أن طريقة التفكير وأسلوب التعبير من خصائص الأدب الآرامي السرياني القائم أصلاً على الوعظ والإرشاد، فضلاً عن أن أسماء بعض الآلهة أقرب إلى الآرامية والفينيقية منها إلى الآشورية والبابلية. وعليه فليس من المستبعد، بل يقرب من اليقين أن تكون قصة أحيقار وحكمه وُضعت، أول ما وُضعت، بالآرامية السريانية حلقة من حلقات التراث الأدبي في العالم القديم، وقد لاقت فيه، وما بعدها، رواجاً لا مثيل له.

قيمه: إن كتاب أحيقار، على حد قول المستشرق إدوارد ماير (أقدم كتب الأدب العالمي) وهو نموذج واضح للأدب الحكمي الطبيعي، لا يركز فيه المفهوم الأخلاقي للحياة على قانون ديني خاص، قائم على إعتبار الواقع إعتباراً مختبرياً لا يخلو من بعض التردد والشك والإفتراض، إنما يحاول إيجاد أنجع النصائح

وأفْع العبر العملية لتطبيقها في الحياة اليومية العادية، في سبيل الحصول على عيش مطمئن هاديء.

وفي ما يلي بعض النصوص:

- ا. عَصَّ حَيْتَ نَيِّ، هَلَا حَلَّوْخَدَم. هَوَّهْ حُوْ وَ حَصَّكْتَ أَسِ مَكَّتْ أَلْهَأ.
- ب. حَيْتَ نَيِّ، أَرِ عَصَّكْ مَكَلَا لَمَّهْ حَكْحُ هَلَاوَع لَأ لَأَجَّسْه وَ حَلَّوْخَدَم هَوَّهْ وَ هَلَا حَفَّهْمُ هَلَا جَمْرُ هَمَّهْمَا لَمَّصَم حَجَّعُ هَخَلَا أَلْهَأ لَمَّاوْخَم.
- ج. حَيْتَ، أَعْنَا وَ سَلَمَ لَأ لَعْنَا هَوَّعْنَا لَأ لَأَسَدَهْم.
- د. حَيْتَ، لَأ لَأَوَمَ حَيْتَ هَلَسَا أَيْدَا وَ هَمَّعَلَا هَجَسَلَا هَلَا لَأَوَجَّسْه حَكْحُ مَكَلَا وَ لَمَّا كَه فَكَّعَبَم وَ أَمَّا حَابَّتْ مَدَم مَعَاوْنَا حُو لَأ مَعَّصَ أَيْد. هَسَّهْهَأ لَأَلْهَأ لَمَّسَج.
- ه. حَيْتَ، لَأ لَمَّعْه وَ حَايَدَا سَجْرُ وَ وَ حَلَّوْخَدَم وَ هَوَّهْوَ إِسْتَنَا حَايَدَاو.
- و. حَيْتَ، لَأ لَأَوَهْوَ وَ لَمَّاوْخَدَم وَ هَمَّعَلَا وَ هَمَّعَلَا مَكْتَبُ هَمَّعَلَاو.

وفا الأرامي

مفكر لم يبقَ منه التاريخ إلا اسمه ونسبته ونعوته، هو وفا أو وafa كان فيلسوفاً وشاعراً من قدماء المؤلفين، ويبقى العصر الذي عاش فيه مجهولاً، واسمه الأرامي يدل أنه لم ينتصر.

إنفرد بذكره أنطوان التكريتي المعروف بالفصيح حيث قال: (والبحر الخامس هو المؤلف من أوزان سداسية وسباعية تزيد أحياناً وتتنقص، وهو لرجل يُقال له (وفا) من فلاسفة الأراميين ونظم الشعر الذي عالجه هذا المغمور إسمه من أجيال عديدة دليل على قدم هذه الصناعة عندنا). وأورد له بيتاً في وزنه مراعاة للحن وهذه ترجمته: (أنا وفا الكريم المناسب الذي سرى عن نفسه الهم وأطرح كروبه، إنه يسند قلبه مُسرِحاً عنه الحزن والكآبة ونزوات الغيظ والغموم التي تكسر قلوب الناس، لأن من كثر غيظه تضيفته البلايا أبداً.

قال وهذا الشعر معمول على نمط الأغاني الحبية التي تعود صاغة للحن الحربية وناظمو النشائد الغزلية للأعراس مزاولتها. ومجرى تفكيره وجوهر فلسفته فمن الصعب تحديدها على إنها تميل إلى الرواقية.

ابن ديسان - برديسان

فلكي أخلص لعلمه ومسيحي أخلص لدينه، حاول أن يوفق بين الشحنيين في إسناد العقيدة إلى الإختبار والكتاب معاً تلك هي مشكلة برديسان. وكان من صدور الكتاب البلغاء عبقرياً وفيلسوفاً جليلاً.

نشأته: ولد برديسان في شهر تموز سنة ١٥٤م من أبوين آريين هما نوحاما ونحشيرام في مدينة الرها، ونشأ في قصر ملكها معنو الثامن، ونال مع ابنه أبحر القسط الأوفى من العلم والأدب واللغات حتى برع فيها جميعاً، وأتقن السريانية لغة البلاد وتضلع من اليونانية لغة العلم والثقافة.

آثاره: أما آثاره فعديدة ومتنوعة، كان من شأنها أن خلقت الأدب السرياني إنما لم يبقَ منها سوى النزر القليل، وفي مقدمتها كتاب (شرائع البلدان)، وهو أقدم ما كُتب بالسريانية المسيحية، بعد ترجمة الكتاب المقدس، دون فيه نظرياته الفلسفية لا سيما في ما خصَّ الحظ والقدر وحرية الإنسان وبعض النظم الإجتماعية، وذلك على شكل الجدل والحوار.

قيمه: إن برديسان عالم فلكي متضلع وفيلسوف متعمق وأديب مفكر ولغوي مدقق، وشاعر رقيق، ومنشد رقيم. خلق فلسفة دينية مبتكرة من المبادئ الطبيعية والعقائد المسيحية معاً فجاءت صهيرة الإختبارات والنظريات وكانت منطلقاً لحركة فكرية واسعة ولنشاط عقائدي عنيف طوال عشرة قرون.

أما أسلوبه فشائق أخاذ، نهض باللهجة الشعبية السريانية إلى مرتبة اللغة الأدبية الرفيعة الشأن، نثراً وشعراً، وزناً ولحناً. مات سنة ٢٢٢م.

وفيما يلي نموذج من كتابته:

صَيَّا بَ أُمِّ حَتُّعَا هُم، وَهَمُّعُمَا كَدَّ حَهُم، هَبَّحْدَا مَّ
سَبَّحْدَا بَعْدُ؛ لَا مَحَّح. هَمَّحْدُهُنَا لَأَ حَصَّاحِن: هَكَمَّعُمَا مَعَمَّ،
هَلَّا وَكَبَّكَا مَعَمَّ حَمَّعَمَّ. لَأَ حِنَّ عَدَّأَعْدَا، وَهَمُّعُمَا أَدَّ
حَهُم، نَجَبَّ حَحَّه هَلَّا لَأَهْجُنَّا أَدَّ حَهُم، وَحَحَّه. بَعْدُ: هَمُّعُمَا

أفراهاط

مجوسي، مسيحي، ناسك، إسقف هكذا تدرج أفراهاط في حياته وعقيدته وهو حكيم فارسي كتب بالسريانية في اللاهوت والحياة النسكية. تميز أفراهاط بالورع وأمعن في درس الكتاب المقدس، فألّف بين سنة ٣٣٧- ٣٤٦ كتاباً كبيراً أسماه البيّنات، حوى ثلاثاً وعشرين مقالة. وبحث في الإيمان وتناول الفضائل كالمحبة، والبتولية، والتوبة، والتواضع والثقة بالله والقيامة والدينونة وفي الصوم والصلاة والبر بالفقراء وفي تشتيت اليهود مصنفاً إياهم أيما تصنيف منبهاً إلى خطورة أفكارهم.

لغة أفراهاط: إنشاؤه صحيح الديباجة سهل الإسلوب غير متأنق، طويل النفس إلى حد الإملال. جملة متينة على طولها، قواعده نفية خالصة، إعتدداً للغويون شواهد أساسية لضبط الصرف والنحو لدى الآراميين والبيّنات هو أقدم نموذج لفن خصّ بالسريان، هو فن الميامر، الذي هو بحث صغير في موضوع معين، وقد وضعه دون تكلف، متحرراً من كل تأثير يوناني.

أَسْمَاءُ وَحَلَا فَهْ وَبَعَا وَصَحَّصَا

وَحَاة. هَحْبَا، هَوَا مَهْ هَحَا فَ هَحْبَسَ حَجْبَعَا فَهَعَا فَ نَحَلَا
حَقْبَعَا مَحْ حَحَلَا وَابَّهَه. هَلَا حَا لَ وَاسْتَا: أَسْ وَأَمَدَ حَتَجَا: هَوَاوَاة.
سَدَا: أَسَّهَ حَحَلَّهَ قَا. هَوَهَ عَجَلَا وَمَحْ عَصَدَا. هَوَاهُجَ أَمَدَ هَوَهَ بَجَا:
هَوَهَ نَهَ مَا مَحَلَا وَوَسَمَ أَحَاهَا: فَ هَامْرَا حَسَطُ حَجْبَعَا، هَلَا جَسَّسَا لَحَلَا
حَجْبَلَمَ فَ هَسَا حَنُكَا هَلَا صَحَّصَهَه، هَلَا لَاهَمَا مَحْ كَا حَمَصَرَا. هَمَحْ
وَحَجَّ هَحَكْ هَوَا أَسْ فَوَبَعَا وَوَهَا هَسَا مَحَحَا وَحَتَا هَلَا حَسَّعَ مَحَّهَه،
هَوَالَا فَ مَحَّهَه. هَوَعَهَاهَ هَمَحَلَّصَهَ حَا عَفَهَه وَمَدَا.

آسونا (أصهلاً)

متنسك صلي في مأواه، وشاعر ترحم على موتاه، ورائي قضي ضحية رؤياه. **سيرته:** إن الشاعر البليغ آسونا عاصر مار أفرام السرياني (+٣٧٣) أستاذاً له أو تلميذاً، وهذا ما أختلف فيه المؤرخون، إلا أن ما إتصف به من رقة الشعر ودقة التعبير، وخصوصاً إبتكار الوزن، كالوزن العشري الذي أخذه عنه مار أفرام يميل به الأسبقية عهداً ونظماً، أما البطريك أفرام برصوم فيقول في حقه (جاء في بعض النسخ أنه كان أستاذاً مار أفرام وفي غيرها أنه تلميذه وهو الصواب)، لكن المطران يوحنا دولباني يعتبره أستاذاً لمار أفرام وذلك في كتابه الشعر لدى السريان.

ومن الدوافع التي أبقت على اسم آسونا حتى القرن التاسع ما إختص به من أوزان، فأحيت ذكره على يد أنطوان التكريتي الفصيح (+٨٥٠) في معرض أبحاثه في الأوزان الشعرية، فقال أن له وزناً خاصاً من ستة تقاطيع وأن له أيضاً وزناً من عشرة، وقد ورد إستعماله لدى مار أفرام، إنما آسونا هو سيده، ويلحظ البطريك إغناطيوس أفرام الثاني رحماني أن بهذا القول دلّ التكريتي دلالة واضحة على أن آسونا سبق بعض الزمن مار أفرام في قرص الشعر.

آثاره: ترك آسونا أناشيد عديدة من نوع الميامر والمداريش، ومعظمها في جنازات الموتى منها قصيدتان بليغتان لجناز الموتي، ذكرها له قدامى العروضيين وفي مقدمتهم التكريتي، وقد خصّ منها مقطوعة استخلصها من النشيد ذي التقاطيع الستة، كما ترك أناشيد أخرى بالبحر الرباعي والبحر السداسي، وقد سجل مخطوط في لندن مداريش خماسية الوزن قد تكون من نظم آسونا.

قيمه: لم يتعمق آسونا في التفكير الفلسفي، ولم ينطلق من الحوار الإجتماعي بل إمتاز بإشراق الديباجة ونصاعة القول ورقة اللفظ وعذوبة الإسلوب وإبتكار الأوزان والتصرف بها، مما جعل شعره يسير بين الناس محبباً ومرغوباً، فردّته الأجيال الواحد تلو الآخر، وبقوا يترنمون به وينشدونه قرنين من الزمن أو أكثر، ولذلك عظم شأن آسونا فجعله بعض مؤرخي الأدب السرياني ممن جمع بين

العبقرية والقريحة وأحلّه البعض الآخر مرتبة رفيعة في مقدمة من أنشد المدرّاش،
وهذا جزء من مدرّاشه لليوم الثاني لوفاة الكهنة، حيث يقول:

حُدُّهُمَا حَصَلًا	أَسْتَفِّجُهُ سَكْفًا
وَجِنَعًا مَنَجَمَ، هَلْخَلْمَ	هَزَلَهُ حَكَّ دَبْتَنَا
حُدُّهُمَا حَصَلًا	أَسْتَفِّجُهُ سَكْفًا
هَلْخَلْمًا حَبَّهًا	وَلَاهَهُمَا مَدَّوْمًا حَسْتًا
وَلَا، وَلَا مَعَهُمَا حَمَّهً مَعُصَبًا	حَا أَسَّ، مَعَهُ مَعُصَبًا
هَسَّجَ أَلْبِنَا حَصَلْتَبًا	نَعَمَ لَاهُ، وَحُبَّ حَنْجًا
هَعَلْمَ مَرًّا، وَهَمَّعَتَا	كَا، وَبِنَا مَعَصَلًا مَبَّجَ حَه
عَبَّ، مَلَكًا هَوَّجَبَسَ	هَدَّ، لَا لُحَّحًا أَوُّوَا
وَبَحَبَّ مَسَّبًا حَنْجَه	وَكَاكَاةَ، هَوَّوَا حَتَّسَعَهةَا
حَكَلًا هَامَّ حَنْعَبًا	سَدَا، وَبَنِيْنَا حَنْوَه

مار أفرام السرياني

ولادته: ولد مار أفرام في مدينة نصيبين في مطلع القرن الرابع للميلاد وعلى الأرجح سنة ٣٠٦م من أبوين مسيحيين.

ألقابه: نبي السريان وشمسهم، كنارة الروح القدس، ملفان الكنيسة الجامعة، شاعر العبقرية والقريحة.

نشأته: تتلمذ في شرح شبابه لمار يعقوب إسقف نصيبين وإعتمد على يديه وهو ابن ثماني عشرة سنة فأحبه كثيراً وإتخذة كاتباً له وتلميذاً في آن معاً ورسمه شماساً وألبسه الثوب الرهباني وسلّمه مهام التدريس في مدرسة نصيبين التي أسسها وبعد وفاة مار يعقوب في سنة ٣٣٨م تسلم مار أفرام إدارة المدرسة وعلم فيها إلى سنة ٣٦٣م حيث رحل إلى الرها بعد إستيلاء الفرس على مدينته، فوسع مدرستها وتصدر للتعليم فيها عشر سنوات حتى وفاته في سنة ٣٧٣م.

مؤلفاته: أدرك مار أفرام اللغة السريانية نقية صافية خالية من العجمة وسائر الشوائب وغنية واسعة وأداة طيبة في التعبير عن مختلف الأهداف الفكرية وشتى مناحي الحياة، ودبج الروائع نظماً ونثراً مما جعل كتاباته مفخرة الأدب السرياني، فقد أنشد فأطرب ونبضت بمحبته القلوب وغاص في عمق ييم السريانية فجاء بالدرر الفوالي وصاغ منها عقداً ثميناً طوق به جيد السريان على مر الأزمان، وحلق كالنسر في سماء الروح فأخذنا على جناحيه مفتونين بما جاء به مع العالم الآخر فهو البحر الخضم في أي موضوع أخذته من تفسير إلى شروح الكتاب المقدس إلى تبجيل السيد المسيح وتطويب السيدة العذراء ومديح الشهداء والأبرار ورتاء النفس الخاطئة وحثها على التوبة وهجاء الكفرة والمبتدعين ووصف الفردوس بأرق وأعذب القصائد، كل هذا بلغة صافية نقية خالية من التكلف ويسبك جملة سبكاً جميلاً وجزالة ألفاظ فلا ريب فهو الجامع لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، أي أن أغراضه الأدبية والشعرية شاملة لكل أنواع الفنون المعروفة آنئذ، مقروناً بتواضع جم ومحبة نادرة.

صفاته الشعرية: إن أهم ميزة في شعره هي السلاسة والقوة وضبط المعنى والتلاعب بالألفاظ المتقابلة والمتناقضة والمتشابهة والمتشابهة الأحرف والألفاظ والمعاني والمتوازنة الرنة، مما يوفر للأبيات تنوعاً ولحناً يصعب نقله إلى لغة غير السريانية وهذا ما يجعل شعره لا تقدر قيمته إلا في الأصل السرياني، وكتب في مختلف البحور ولكنة تميز بالسباعي الذي إكتشفه.

وفيما يلي بعضاً من أشعاره، فمن قوله عن إبراهيم إسقف نصيبين:

ميكس ديفجه كز وده	مهدذ ديكفب كزهك
فكك يذك كفسوبك	مكك كذك ككك
فكك ككك مفسكب	دك مفسكك فجبك
فكك مفسكك فكبك	مهدم ذكك بكمك
ككك دككك كككك	مهدك يذده ككك
مهدك ككك ذككك	ككك كككك ككك
مفسك ككك ذككك	مككك ككك ذككك
مككك ككك مفسكك	ككك ككك ذككك
ككك مفسكك ككك	ككك مفسكك ككك
ككك مفسكك ككك	ككك مفسكك ككك

وترجمتها:

ولا يليق بالملح أن يفسد	لا يجدر بالنور أن يظلم
ولا القدر بالمرأة	ولا يروق الدنس بالرأس
لا شفاء بلا أمراض	وإن فسدت الأدوية
كثرت العشرات	وإن أظلم السراج
مبارك الذي جعلك مصباحنا	ليطرد نورك ظلامنا
وتفقد المريضة	صن النعجة الصحيحة
وابحث عن الضالة	وضمد الجريحة
واسقها مياه العلم	إرعها في مروج الكتب
وليكن لك الصليب عصاً	ليكن لك الحق سوراً
مبارك الذي زاد سنائك	وليكن لك العدل سلاماً

وهذه قصيدة أخرى في النصح، حيث يقول:

مِحْصَاتُهَا

سَبَّ مَعِ سَقْتَمًا حَبَلُجَهَ أَحَبِّ وَوَسَفَّ مَعِ أَسَا مَعِ وَسَعَا وَتَجَلًّا
وَجَهْمَهَ وَسَفَّ حَبِّ وَحَدَهَ تَجَلًّا مَلَّا قَتْنَا رُلَا حَبِّ وَحَجَبِ حَبِّ وَسَعَا
فَرُّا حَبِّ مَعِ مَعِ وَسَعَا وَتَجَلًّا
لَبَّ مَعِ وَهَجَا مَعَامًا مُهَجَهَ لَأَسَا وَمَا مَعَا هُجَا
وَحَلَمًا حَبِّ مَعَا هُجَا لَا حَبِّ مُهَجَهَ لَأَسَا وَالْأَصْفَ مَعْمَسَا
وَجَهِّ حَلَمًا مَلَمَفَّ هَجَهَ وَحَلَبِ نَبَا مَلَمَفَّ
حَلَا لُوحَهَ وَمَجِبَا حَبِّهَا هَلْأَصْفَه هَسَاءَهَ حَلَمًا مَعَا حَبِّهَا
هَمْدَهَ هَلْأَصْبَا هُوحَهَ مَلَمَفَّ وَهَجَبَهَ مَعَا مَلَمَفَّ

والترجمة:

لقد محضني أحد الحكماء نصحاً في كتابه قائلاً
أن ابتعد عن أخي السوء، وعن صديق خؤون
فإن فمه يضحك لك وقلبه يملؤه الغش
ينصب لك أشراكاً ويقسم بأنه صديق حميم
ألا ربنا نجنا من صديق السوء
أكثر من الذهب والفضة
طوبى لمن إقنتى في الدنى إسماً عاطراً
ذلك أن العالم يزول، أما الإسم الطيب فيدوم
فطوبى لمن جدَّ في إقنتائه
فإنه يحظى بالكرامة في الدنيا
وبالملكوت في الآخرة
مررت ذات يوم بباب القبر متأملاً
فرأيتُ العالم في حقيقته

رَأَيْتُ الْعَبْدَ وَسَيِّدَهُ وَالتَّلْمِيذَ وَمَعْلَمَهُ سَوَاسِيَةَ
أَجَلٍ، رَأَيْتُ الْمُلُوكَ رَاقِدِينَ وَقَدْ نَزَعَ مِنْهُمْ سُلْطَانَهُمْ

وله في الهجاء:

طَسَّهْ حَجَبِي	مَخَّصَّ عَمَّي
سَمَّهْ حَهْ حَجَبِي	سَمَّيْ مَخَّي
مَهَّهْ حَهَّاهُ	وَلَا مَهَّيْ مَخَّي

قورلونا

شاعر له مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف، يجري في أسلوب المجيدين، ولا يقصر عن مدى السابقين.

حياته: لا يُعرف عن هذا الكاتب إلا القليل وخلاصته أنه عاش في أواسط القرن الرابع ومطلع القرن الخامس للميلاد. وقد ورد اسمه في مصحف عتيق فريد بلندن إنطوى على أشعار فصيحة ومداريش وقصيدة رباعية الوزن حبكها في كوارث زمانه. ويظن بعض المؤلفين أنه ابن أخت مار أفرام، وله عدة مقالات وقصائد أهمها مقالة في العشاء السري وفي الفصح وغسل الأرجل وفي غزو الهونيين في سنة ٣٩٦م وقصيدة سباعية في حبة الحنطة، والبواقي في ست أو سبع بالبحر الخماسي.

بُكَّك ٢ مَدَّ ٢ دِجْدَد ٢	بُكَّك ٢ جَهْكَه ٢ سَبْدِه ٢
هَ بَگَ ٢ مَجْدَ ٢ كَهْ كَمِجْدِه ٢	بُكَّ كِيَسَ ٢ دِجِجِبَكَّ ٢
سَمَمِيه ٢ مِجْ كَذَه ٢	كُجِسَا ٢ هُ كَعَمَ ٢
مِجْ هَ بِيك ٢ كَسَمِيه ٢ بِنَ ٢	هَ ٢ هَ ٢ جِيه ٢ مِجْ ٢
٢ هَ ٢ جِيه ٢ بِيكَا ٢ دِجِيذِه ٢	بُ سَمَبَدَ ٢ دِ ٢ كَه ٢
بُكَّه ٢ سَمَمِه ٢ هُ ذَه ٢ سَمِه ٢	دِيه ٢ كِيكِيه ٢ مِجْ ٢
بُكَّه ٢ سَجَا ٢ مَجْد ٢	هَ مِجْ ٢ هَ ٢ بِن ٢

إسحق الأنطاكي

ولد في الرها ورسم قساً، اشتهر في الربع الأخير من القرن الخامس أي في عهد الإمبراطور زينون، وفد إنطاكية فلُقّب بالإنطاكي، كما لُقّب بالكبير. إن معظم آثار مار إسحق شعرية وعلى الوزن السباعي وله قصيدة في البيغاء تحتوي على ٢١٣٦ بيتاً. والإسهاب والتطويل لا ينتقص من سمو التفكير ولا جمال التعبير ويمتاز شعره بالإنسجام والسهولة والرقّة التي بلغت الغاية، وهي حافلة بفوائد لاهوتية وأدبية ولغوية وطقسية وإجتماعية، وهو من فحول الشعراء ومن الطبقة الأولى.

مُحَلِّقًا

وَجِهٌ مَّحَلِّقٌ سُرًّا وَفَعْلَاهُ	مُحَلِّقًا مَّحَلِّقًا هَوَ وَبَجْعًا
لَحَبَّحًا وَجَلَّحُمَ هَوَ وَوَلَّحَهُ	لُحَمًا سَكَّحًا وَصَصَّبَّحَ
حَبَّحَهُ وَحَبَّحًا هَوَ مَحَلِّقًا وَحَهُ	عَمَّحًا هَوَ وَوَسَّحَ مَحَ أَوْحًا
حَبَّحَهُ مَحَلِّقًا مَحَلِّقًا حَبَّحًا	عُنَا حَهُ حَلَّا مَحَلِّقًا
وَمَحَلِّقًا مَحَلِّقًا سَمَلًا	بَجْعًا وَبَجْعًا مَحَلِّقًا هَوَ
عَدَّحًا هَوَ مَحَلِّقًا هَوَ مَحَلِّقًا	هَجَلًا بَجْعًا وَوَلَّحًا مَحَلِّقًا حَهُ
هَجَلَّحُمَ مَحَلِّقًا مَحَلِّقًا حَلَّحَهُ	أَحَلَّحًا هَوَ وَجَلَّحُمَ مَحَلِّقًا
مَحَلِّقًا وَبَجَّحًا إِيْعًا مَحَلِّقًا حَهُ	لَا مَحَلِّقًا مَحَلِّقًا مَحَلِّقًا
وَبَجَّحَهُ مَحَلِّقًا مَحَلِّقًا	حَلَّحَهُ حَهُ مَحَلِّقًا حَلَّحَهُ
مَحَلِّقًا وَحَلَّحَهُ مَحَلِّقًا حَلَّحَهُ	هَجَلًا حَبَّحًا مَحَلِّقًا حَهُ

العلم

العلم ملح النفس
ومذاق سليم يطيب
هو شمس تنفذ خلال الأذن
بل تذيب الجهل
العلم نفس للنفس
والنفس التي لم تملح به
هو شجرة تقطف ثمارها كل يوم
لا تنفذ ثمارها البتة
فلا شتاء للعلم
ولا الجليد يعيقه

به يتشدد ضعفها
الفكر اللاهج به على الدوام
إلى الفكر وتنيره
كما يذيب الوهج الجليد
إذ منه تستمد الحياة
هي جثة هامة كريهة
وكل يوم تعود تنثر غلاتها
بل أية كمية طلبها المرء منها يجدها
ليُعرِّيَه من ثمارها
عن دَفِقِ غلاته

قيّمته: تناقل الخلف عن السلف للشاعر إسحق المنسوب إلى إنطاكية مجموعة من القصائد والمنظومات الرفيعة ضفرت على هامه إكليلاً من الإعتبار والإحترام والتقدير، فيبدو، في جميعها، متشعب الأبحاث كثير الإنتاج طويل النفس. ولمؤلفاته قيمة متنوعة، لما فيها من معلومات في علم الطبيعة والفلك، كدراسة الأبراج وغيرها، وهي مصادر ثقة للتاريخ، لما فيها من وصف زلزال إنطاكية وهدم بيت حور وويلات إنتابت زمانه ومستندات أدبية لما فيها من إبتكارات تأليف وضوابط لغة.

ولئن إقتصر نظمه على وزن واحد وهو السباعي، مبتكراً ألفاظاً وتعابير فريدة.

وَسَعْدٌ مَعْلُوفٌ

هَلَّا هُوَ وَسَعْدٌ مَعْ كَلَّا إِيَّ	مَنْهُ وَوَسْمٌ مَعْلُوفٌ
هَلَّا لَأَنَّ حُلْمًا حَفْمًا كُفْمَةً	مَنْهُ لَأَنَّ حَصْلُفِيَّةً
وَهَلْمَةٌ أَلْمًا وَقَمْنَةٌ	مَعْ حَمٌّ مَعْلُوفٌ
مَعْ حَسْمَةٌ عَمْنًا	مَعْ وَسَعْدٌ هَلَّا أَلْمًا
هَلَّا مَلَأَ سَعْدٌ حَمًّا قَلْمًا	حَمْمَةٌ مَعْ حَمْلًا
هَلَّا مَلَقًا هَمًّا أَلْمَةً	أَلْمًا أَلْمًا هَمًّا حَمًّا
هَلَّا هَمًّا حَمْلًا قَمْمًا	مَنْهُ وَأَسَدٌ حَسْمَةٌ
هَلَّا حَمٌّ هَلْمَةٌ عَمْمَةٌ	مَعْ أَوْدَعٌ مَلْمَةٌ أَلْمًا
هَلْمًا حَمًّا حَمًّا سَعْدٌ مَمْمَةٌ	مَعْ أَمًّا حَمٌّ مَعْلُوفٌ
وَبَدْمَةٌ إِيَّ مَعْ فَمْمَةٌ	أَلْمًا هَمًّا حَمٌّ هَلْمَةٌ

والترجمة:

ولم يكن محبوباً من كل أحد	مَنْ ذَا الَّذِي أَحَبَّ الْعِلْمَ
ولم يكِدْ الْعَالَمَ فِي مَدِيحِهِ	مَنْ ذَا الَّذِي كَدَّ فِي تَعْلِيمِهِ
كَأَنَّهُ غَمَطَ لَهُ حَقَّ قِرَاءَتِهِ	مَنْ ذَا الَّذِي تَذَمَّرَ مِنَ الْعِلْمِ
ولم ينتفع من عشرته الكيِّسَةَ	مَنْ ذَا الَّذِي أَحَبَّهُ
ولم يَغْدُقْ عَلَيْهِ أضعاف الخيرات	مَنْ ذَا الَّذِي حَرَمَهُ الْغَلَاتِ (الْأَمْوَالِ)
ولم يَصِرْ لَهُ الْمُلُوكُ تَلَامِيذًا	مَنْ ذَا الَّذِي صَارَ لَهُ تَلْمِيذًا
ولم يَضْحَ فِي الْعَالَمِ أَمِيرًا	مَنْ ذَا الَّذِي أَحَبَّ عَشْرَتَهُ
ولم يضاعف ويثلاث درهمه	مَنْ ذَا الَّذِي أَوْدَعَ لَدَيْهِ مَبْلَغًا
فتقاضى منه أجرة زهيدة	مَنْ ذَا الَّذِي عَمَلَ عِنْدَ الْعِلْمِ أَجِيرًا
حتى يهرب المرء من خدمته	تَرَى مَتَى (أَيْنَ) كَانَ الْعِلْمُ جَائِرًا

من مزايا هذه القصيدة بدء البيت بالسؤال أي الإستفهام والجواب بأداة النفي لتوكيد ذلك الجواب، وفي هذا دليل واضح على أن شاعرنا إسحق الإنطاكي كان ذا ملكة شعرية قوية و متمكناً من لغته ودليل حيك الجملة لديه حبكاً رصيناً ودون تكلف، بل جاءت كأنها الماء الرقراق تروي الضماً.

ومن الأمور المميزة للأدباء والشعراء السريان إهتمامهم بالعلم والحث على تحصيله وهذه سمة طبعت معظم أدباء السريان فلا تجد شاعراً أو أديباً سريانياً لم يدعو إلى مثل هذه الأمور.

وَأَصْفَهُ وَبَحَمَجَهُ	حَدَهُ حَهُ وَأَجْنَهُم
وَعَجَبَهُ حَلَا هَجَبَهُ	أَعْنَا مُدِنَةَ حَلَجَبَتِهِ
وَمِنَا حَلَّتَبَا	عَجَسًا كَصَفَسَا
هُمُؤْنَهُ أَعَدَسَا	هُمُؤْنَهُ وَأَلَا سَجَلًا

وهذه قصيدة أخرى نرى في الأبيات الأربعة الأولى نوعاً من القافية إذ نسمعه
يقول:

سَعَا لَأَجَهَتِ	سَعَا كَيْ مُدِنَا:
سَعَا حَتَّحَتِ	سَعَا كَيْ مُدِنَا:
سَعَا كَعَمُؤْتِ	سَعَا كَيْ مُدِنَا:
هَأَسَّ حَلَّتَبَتِ	سَعَا كَيْ مُدِنَا:
وَأَهْوَمَهُ هَمُؤْنَهُ حُ	هَمُؤْنَهُ حَتَّأ:
هَأَعَدَمَهُ وَهَجَبَسَا	هَأَجَلَهُ مَعَ هَجَبَسَا:

والترجمة:

وإغفر لأبائنا	إغفر لنا يارب
وإغفر لمعلمينا	إغفر لنا يارب
وإغفر لشركائنا	إغفر لنا يارب
وأرح موتانا	إغفر لنا يارب
الذين إترفوا و آمنوا بك	وكل الموتى
وشربوا دمك الحيّ	وأكلوا جسدك

الملفان نرساي (مكتفئ جذهد)

حياته: ولد في معلشا في منسلخ القرن الرابع (٣٩٩م) وانتقل وهو صبي إلى الرها حيث درس في مدرستها الشهيرة، وبعد أن أتمَّ تعليمه تصدر للتدريس فيها، وقد بلغت مدة مكوثه فيها عشرين سنة كتلميذ وأستاذ. إنتقل بعدها إلى نصيبين سنة ٤٥٧م، حيث أعاد فتح مدرستها ورفع شأنها وخدم فيها ما يقرب من خمسين سنة. حسب رأي ابن العبري فتكون سنة وفاته ٥٠٧م، ولكن منكما يضع وفاته في سنة ٥٠٢م معتبراً مكوثه في نصيبين ٤٥ عاماً ويخالفه مناً في ذلك حيث يعتبرها في المقدمة العربية ٥٠٣م ولكن من النص السرياني ٥٠٧م، ومهما يكن من أمر فقد جاور ربه وهو شيخ طاعن في السن وقد جاوز المائة عام.

قيمه: هو من أعيان الأدب السرياني وكشاعر من صفوة الشعراء المجيدين من الطبقة الأولى، وقد ترك لنا مجموعة كبيرة من الكتب نثراً وشعراً أظهر فيها براعته في الغوص على المعاني وعمق الفكرة وسعة الإطلاع وطول ذراعه وقوة عارضته، وقد إمتاز ببلاغة أسلوبه وأصالة فكره. وقد ترك لنا ثلاثمائة وستين قصيدة ونشيداً وترتيلة حسبما ذكر عبد يشوع الصوباوي ١٣١٨م بلفظ جزل وسبك متين وبيان ساحر.

هذا وأكثر أشعاره منظومة على البحر الإثني عشري المعروف بالبحر الثاني أو البحر السروجي أو النرساوي وقسم على البحر الرابع أو الأفرامي. ومن أهم ما يتميز به إعادة اللفظة الأخيرة من البيت في البيت الذي يليه كما في المثال التالي:

هَئِذْ دَجِيحٌ هِدْدٌ دَمِيكٌ دَجَمَجَةٌ
يَعِيذُ يَمِيذُ سِيذُ هَمَكٌ دَجَمِيذُ حَمِيذُ
مِيكٌ يَمِيكٌ دَجَمِيكٌ مَمِيكٌ حَمِيكٌ دَجَمِيكٌ
دَمَجَمِيكٌ هَمَكٌ مِيكٌ حَمِيكٌ دَجَمِيكٌ
نَسَكٌ دَمِيكٌ كَذِبٌ هَمَكٌ كَجَمِيكٌ دَمِيكٌ
دَجَمِيكٌ دَمِيكٌ مَمِيكٌ هَمَكٌ دَمَجَمِيكٌ هَمَكٌ

مار يعقوب السروجي

حياته: ولد في قرية كورتم الواقعة على نهر الفرات عام ٤٥١م من أعمال سروج، ورثف سلافة العلوم في الرها فأصاب من علومها السهم الأوفى لغوياً وفلسفياً ولاهوتياً. ترهب وتنسك، وحين بلوغه من العمر الثانية والعشرين إرتجل قصيدته المشهورة في مركبة حزقيال في محضر خمسة أساقفة إقترحوها وهو مائل في بيعة بطنان سروج. رسم قساً ثم قلد رتبة الزائر لبلدة حورا. سقّف في عام ٥١٩م على أبرشية بطنان سروج، جاور ربه عام ٥٢١م.

قيّمته: عالم تحرير، أوحد زمانه ووحد قطره، وشاعر مُغلق مطبوع لا يلحق غُباره ولا تدرك آثاره، مُترسّل من أمراء الكلام يتأنق ويبدع تحفزه الفطرة وتمدّه السجية.

نظّم نيفاً وسبعمئة يمر ونشائد وأنشأ خطباً ورسائل بإنشاء سرياني جزل تنهدل الفصاحة على جوانبه وتتهادى البلاغة في سطورهِ. هو بلبل المعاني الذي لا يمل تغريده، الشاعر الموهوب المديد النفس الذي إبتكر البراعات الماثورة فما بلغ شأوه بالغ.

بلغت أبيات بعض قصائده الألفين أو الثلاثة وكلما تعمق في الموضوع الذي يعالجه كلما زاده بياناً عذياً. كتب في التزهيد والتوبة وشرح أهم أحداث العهدين القديم والجديد والبحث في الإيمان والفضائل وحمد الله على المائدة وتقريظ السيدة العذراء.

أما مصنفاته المنثورة فهي رسائل غاية في الحسن بديعة كلها بإنشاء متين الحبك مُحكم النسج متدامج الفقر عذب المشرب. وتمتاز صورهِ بالرقّة والعذوبة ويحلق كالنسر في سماء الشعر إلى العلا، ويختار صورهِ من الطبيعة بإسلوب فني جميل. وإن جميع قصائده هي البحر الإثني عشري والمعروف باسمه.

هَذَا أَتَّصَعًا وَحَتُّكُمَا حَسْبُهُ مَتَّعَهُ:

فَلَسَّ هَاسِبٌ تَعَفُّمٌ عَزْبٌ لَأَوْحًا كُدَّ

وَمَعًا هَرَجَاتًا خَلَا مَهْلُتَاهُ حَبَّتَهُ:

خَلَا لِعَدَسُهُ مَدْنٌ حَاتِعًا فَنِعْمًا

مَتَّهَا مَقْدَهًا حَفَّتُكُجْبُهُ هَجَّتَهُ هُؤَمُهُ:

مَلَجِبٌ لَأَوْحًا وَأَيْدَاهُ مَعْسَلٌ حَبَّتَهُ

مَهْوَمًا مَسَمًا وَأَرْحَبُ هَالِبٌ خَلَا وَهَجَاتًا:

حَلَسٌ مَعْلَحٌ وَجَبًا مَدْنٌ أَيْدٍ حَدَّجْتُبَارُ

عُدَّتْ مَعَا أَوْ مَهْلُتَاهُ وَحَلَّمَا أَوْحَد:

كُدَّ مَعْقَمٌ مَهْجَسًا فَنِعْمًا حَجَبُهُ مَأْرُ

وترجمتها:

هوذا الأيام والليالي بحدودها

تفتح وتأخذ وتعلن قصتك لكل الأرض

الأمساء والأصباح بهزيعها وأوقاتها

توقظ الناس بوعي لتسيبك

الأصيف والأشتاء بفصولها ومسيرها

تعلم الأرض أنك أنت مغير أوقاتها

القر والحرق ذاهبان راجعان سالكان

يُخبران كم أنت ماهر في أعمالك

ساعات اليوم وهجعات الليل الأربع

ترفع كلها المجد الواجب لربوبيتك

معلقه

قَدِمَ مَلْفًا سَعْمًا خَلُّمٌ مَّحَ قَتْنَا
وَمُحِبٌ سَأُ؛ حَلْمًا وَبَحْمًا وَجَنًّا أَيْدِ
سَتَاةَ اَوْحِبُ أَهْلًا مَلْمًا كَبُومَ حُ
سَعْلُ بَعْمًا. سَمَّ دُ تَبْعًا وَعَنْتًا
حَسْمًا شَمًا لُحْمًا حُ حَمًا؛ وَلَا مَصْمًا
وَجَلًّا سَعْمًا مَلْمًا سَجْمًا هَامًا وَأَمْلًا. هُ
هَمًّا زُحْمًا مَصْمًا هُمًّا هَلَّا مَلْمًا
مَّحَ مَلْفًا هَمًّا حَمًّا هَمًّا
هَلْمًا مَصْمًا وَبَعْمًا حَمًّا حَمًّا مَصْمًا
مَصْمًا نَمًّا حَمًّا وَبَعْمًا وَالْمَلْمًا حَمًّا
هَمًّا مَلْمًا سَلْمًا هَمًّا حَمًّا
هَمًّا مَّحَ حَمًّا بَعْمًا فُلْمًا حَمًّا
هَمًّا مَمًّا حَمًّا حَمًّا وَبَعْمًا حَمًّا
أَمًّا حَمًّا حَمًّا وَبَعْمًا حَمًّا حَمًّا

العلم

قُمْ أَيُّهَا الْعِلْمُ إِحْزِرْ غَلَاتِكَ مِنَ الْأَسْفَارِ
فَمَنْكَ يَأْمَلُ الْعَالَمُ أَنْ يَشْبِعَ لِأَنَّكَ مَبَارِكُ
إِنْ بَدَارَكَ حَيَاةً، فَأَكْثَرَ مِنْهُ لِمَنْ يَحْبُكَ
أَمَّا حَقْلُكَ فَهِيَ النَّفْسُ، فَضَعْ فِيهَا أَكْدَاسَ الْحَقَائِقِ

لقد طمرت بين السطور ثراء لا ينفذ
يغرف منه جميع الحكماء وهو لا يزال كما هو
إن العقول تحمل من كنوزك إلى مخادعها
ومع هذا فثراؤك العظيم يزداد إزدياداً ولا ينقص
أجل، إن العقول لتغتنى من العلم بغزارة
وهو يُجزل الثراء للمساكين التابعين له
يضرم ناره في النفس التي تهوى التباهي به
فتحمل منه قوة وبهاءً لتنادي به
يعمل العلماء معه منذ الإبتداء
ومع هذا فهو لا يزال يحتفظ بعمل ليعطيه من يعمله
له طفمة من جميع المعارف على إختلاف أنواعها.

مار فليكسينس المنبجي

حياته: ولد في بلدة تحل من كورة باجرمي (العراق) في أواسط القرن الخامس واسمه السرياني (اخسنايا) أي (غريب)، درس في دير قرتمين - طرو عديين بتركيا، ثم إنتقل إلى مدرسة الرها وأتم دراسته للعلوم الفلسفية واللاهوتية، وتمكن من اللغتين السريانية واليونانية في دير تلعدا الكبير في كورة أنطاكيا، فرهب ورسم قساً، في سنة ٤٨٥م أقامه بطرس الثاني بطريرك إنطاكيا خورياً، ثم رسمه مطراناً لمنبج، ثوى شهيد الإيمان في ١٠ كانون الأول عام ٥٢٣م.

قيمه: من أعلام السريان وفرسان الكلام وكبار أئمة اللغة الذين يُشار إليهم بالبنان وأقطاب الزمان ذكاءً وعملاً. إمام البلقاء المترسلين، كلامه سمح سهل وإنشاؤه فخم جزل، أن تأليف هذا الحبر العلامة هي تفسيرية ولاهوتية وجدلية وأدبية نسكية وطقسية ورسائل وخطب، ويعتبر مثلاً في كتابة القصة السريانية، أمير النثر السرياني، بل أن لغته هي اللؤلؤ المنثور والدرّ المنضد تزيينه المتانة وتوشيه البلاغة ويكلله البيان، لم يكتب الشعر مطلقاً، ومصدر مهم للقواعد النحوية، حيث صفاء اللغة ووضوحها ونقاؤها.

مناجاة

لِلَّهِمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ وَبِحَبْلِ نَجَاتِكَ
وَبِعِصْمَتِكَ: أَيُّهَا الْمَلَأَةُ، وَبِعِصْمَتِكَ مَدْفَعًا مَدْفَعًا وَجَانًا وَهَلَا
أَلَّا قَاوًا وَبِحَبْلِ.

بِحَبْلِ حَبْلِ هَهُنَا مَهِنًا، وَأَهْلًا لَأَمْرًا. مَلِكُهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ
وَأَعِيذُ بِكَ، وَأَلَّا قَاوًا مَسْعُودًا، وَهَهُنَا هَلَا، وَأَلَّا حَبْلًا إِيَّاهُ
أَكْبَرُ، وَبِعِصْمَتِكَ مَدْفَعًا، وَأَلَّا قَاوًا حَبْلًا حَبْلًا
مَلَّا، وَأَلَّا نَعْمَ مَدْفَعًا.

أَجْرًا وَهِيَ وَوَصَّى لَا مَنَعَهُ حَاطِحٌ وَحَلَا رِيحَهُ هُوَّةٌ: هُجْرًا هَاجِلًا
أَلْبًا وَهَجْرًا سَائِهِ وَهَمَّعُهُمْ وَرَبَّعَ حَهْجَدًا وَمَنْعَهُ مَدْفَلَسٌ أَلَّا حَمَّعَهُ
مَمَّعًا وَمَنْعَ إِسْنًا مَدَّوَجًا.

النصح

إن الفتوة التي تتروّض على الخير وتتمرس بالصبر منذ ميعتها، هي كالحقل الذي يفلح أولاً ثم يزرع، كي يعطي أثمار المعرفة. لا تستطيع المعدة المتخمة أن تولّد تفكيراً صائباً لأن التخمة تعمي البصيرة وهذا أمر لا يشك فيه من تمرسوا بالمعرفة، وإذا شك الجهلاء فلأنهم لم يتمرسوا بها. كما أن النائم لا يشعر بما يجري من حوله، هكذا من أغمض عين الإيمان لا يشعر بالصلاح الصادر عنه، بل هو كالأعمى الذي يقوده آخر. ومن يريد أن يتمكن من كتابة النثر السرياني عليه بقراءة كتب هذا الملفان، حيث الفنون المختلفة وأصول الإملاء القديم الأصيل، أما من يودّ التعمق في أسلوب كتابة الرسائل فعليه بقراءة رسائله خصوصاً تلك التي ترجمها إلى اللغة العربية الراهب روجيه يوسف أخرس في ثلاثة مجلدات في عام ٢٠٠٧، حيث نشر النص السرياني وبإزائه الترجمة العربية وذلك تعميماً لفائدة القاريء ولإغراض المقارنة. هذا وإن عدد الكتب التي وضعها المنبجي حوالي الثمانين كتاباً في اللاهوت العقيدي وعلم تفسير الكتاب المقدس واللاهوت الروحي أي النسكي والليتورجيا.

الخاتمة:

مما تقدم من مواضيع تتضح لنا أهمية الأدب السرياني الأصيل في تاريخ الفكر الإنساني وتشكُّل الحضارات، وعلينا أن نقف وقفة إجلال وإكرام لآباء عظام وقفوا حياتهم في خدمة الإنسان والعرفة بجميع ألوانها وأن نستمد منهم العون ونسلك على ذات الطريق في إكمال المسيرة الإنسانية لنثبت أننا أبناء وأحفاد أولئك الجهابذة والعلماء النحارير ونجزل العطاء مثلهم.

المصادر:

١. أبونا، الأب ألبير، أدب اللغة الآرامية، ط١، بيروت، ١٩٧٠.
٢. أغناطيوس، البطريك أفرام برصوم، اللؤلؤ المنثور، ط ٣، بغداد، ١٩٧٦.
٣. أغناطيوس، البطريك يعقوب الثالث، اللآلئ المنثورة في الأقوال المأثورة، دمشق، ١٩٦٩.
٤. إقليمس، المطران يوسف داود، اللمعة الشهية، الموصل، ١٨٩٨.
٥. برصوم، مار أغناطيوس أفرام الأول، قيثارة القلوب، القامشلي، ١٩٦٩.
٦. الخوري، برصوم يوسف أيوب، اللغة السريانية، حلب، ١٩٧٥.
٧. دولباني، المطران يوحنا، الشعر عند السريان، حلب، ١٩٧٠.
٨. الديراني، نزار حنا، الكيل الذهبي في الشعر السرياني، بغداد، ١٩٨٨.
٩. ديوان مار يعقوب السروجي، نسخة مصورة بجزأين.
١٠. رشدي، د. زاكية محمد، السريانية نحوها وصرفها، القاهرة، بدون تاريخ.
١١. د. سبستيان بروك، الأناشيد المختارة جمع، هولندا، ١٩٨٢.
١٢. صليبيا، المطران جورج، مائدة إنطاكية، بيروت، ١٩٩٢.
١٣. عبد الهادي، نصري، شمس آرام شمس العرب، حلب، ١٩٨٦.
١٤. غبريال، فولوس وكميل البستاني، الآداب السريانية، بيروت، ١٩٦٩.
١٥. المجلة البطريركية الأعداد ١٥٩ السنة السادسة عشرة، ١٧٥ و ١٧٦ السنة الثامنة عشرة.
١٦. مناء، المطران يعقوب أوجين، المروج النزهية، ط ٢، بغداد، ١٩٧٧.
١٧. منجنا، ألفونس، ميامر مار نرسي، الموصل، ١٩٠٥.
١٨. مهرجان أفرام حنين الكتاب الذهبي، مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٤.